

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى ۖ فَلَنَأْتِيَنَّكَ
بِسِحْرِ مِثْلِهِ ۖ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ ۖ نَحْنُ وَلَا
أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: 57 - 58]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

بنس المتكبر
في انفعاله مع
رسائل الله إليه

لما ذكر في الآية السابقة إراءته فرعون الآيات كلها، العام منها والخاص؛ أخبر هنا عن كيفية استجابة فرعون بعد رؤيته الآيات، وبلاغ موسى ﷺ إليه.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿بِسِحْرِكَ﴾: (سحر) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خَدْعٍ وَشِبْهِهِ⁽¹⁾، وَحَقِيقَةُ السِّحْرِ صَرْفُ الشَّيْءِ عَنْ حَقِيقَتِهِ إِلَى غَيْرِهِ، فَكَأَنَّ السَّاحِرَ لَمَّا أَرَى الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَخَيَّلَ الشَّيْءَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ، قَدْ سَحَرَ الشَّيْءَ عَنْ وَجْهِهِ، أَي: صَرَفَهُ⁽²⁾، تَقُولُ الْعَرَبُ لِلرَّجُلِ: مَا سَحَرَكَ عَنْ وَجْهِ كَذَا وَكَذَا؟ أَي: مَا صَرَفَكَ عَنْهُ⁽³⁾، وَالسَّحَرُ: الْأُخْذَةُ، وَكُلُّ مَا لَطَفَ مَأْخُذُهُ، وَدَقَّ؛ فَهُوَ سِحْرٌ، وَالْجَمْعُ أَسْحَارٌ وَسُحُورٌ، وَرَجُلٌ سَاحِرٌ مِنْ قَوْمِ سَحَرَةٍ، وَالسَّحَرُ أَيْضًا: الْبَيَانُ فِي فِطْنَةٍ⁽⁴⁾، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْآيَةِ: الْأُخْذَةُ؛ إِذْ يَقْتَضِي أَنَّ مُوسَى أَرَاهُ آيَةَ انْقِلَابِ الْعَصَا حَيَّةً، وَانْقِلَابِ يَدِهِ بَيَظًا، فَأَخَذَ فِرْعَوْنُ مِمَّا رَأَى؛ وَذَلِكَ مَا سَمَّاهُ فِرْعَوْنُ سِحْرًا.

(2) ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾: أَصْلُ الْإِتْيَانِ: مَجِيءٌ بِسَهُولَةٍ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلسَّيْلِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سحر).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سحر).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (سحر).

(4) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس: (رهق).

المار على وجهه: أَتَى وَأَتَاوَى، والإتيان قد يُقال للمجيء بالذات وبالأمر والتدبير، ويُقال في الخير، وفي الشرِّ، وفي الأعيان، وفي الأعراض، كقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: 1]، وقوله: ﴿فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَمُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: 26]، وقوله: ﴿أَتَتْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 40] (1)، وتقول: أَتَيْتُ الأَمْرَ من مَاتَاتِهِ، أي: من مَاتَاهُ، أي: من وجهه الذي يُؤتى منه (2)، ويُقال: تَأَتَّ لِهَذَا الأَمْرِ، أي: تَرَفَّقَ لَهُ، والإيتاء: الإِعْطَاءُ (3)، وَمَعْنَى إِتْيَانِهِ بِالسَّحَرِ: إِحْضَارُ السَّحَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، أي: فَلَمَّا تَيَسَّرَ بِسِحْرِ مِمَّنْ شَأْنُهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِالسَّحَرِ، إِذِ السَّحَرُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ سَاحِرٍ (4). (3) ﴿مَوْعِدًا﴾: (وعد) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى تَرْجِيَةِ بَقَوْلٍ، يُقَالُ: وَعَدْتُهُ أَعِدُّهُ وَعَدًا، وَيَكُونُ ذَلِكَ بَخِيرٍ وَشَرٍّ، فَأَمَّا الْوَعْدُ؛ فَلَا يَكُونُ إِلَّا بَشَرٍّ، يَقُولُونَ: أَوْعَدْتُهُ بِكَذَا (5)، وَالْمَوْعِدُ: مَوْضِعُ التَّوَاعِدِ، وَهُوَ الْمِيعَادُ، وَيَكُونُ الْمَوْعِدُ مُصَدَّرَ (وَعَدْتُهُ)، وَيَكُونُ الْمَوْعِدُ وَقْتُاً لِلْعِدَّةِ، وَالْمَوْعِدَةُ أَيْضًا: اسْمٌ لِلْعِدَّةِ، وَالْمِيعَادُ لَا يَكُونُ إِلَّا وَقْتُاً أَوْ مَوْضِعًا (6)، وَالْمَوْعِدُ فِي الْآيَةِ يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْمَصْدَرُ الْمِيعِيُّ، أي: الْوَعْدُ وَأَنْ يُرَادَ بِهِ مَكَانُ الْوَعْدِ، وَهَذَا إِيجَازٌ فِي الْكَلَامِ (7). (4) ﴿لَا تُخْلِفُهُ﴾: (خلف) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى مَجِيءِ شَيْءٍ بَعْدَ شَيْءٍ يَقُومُ مَقَامَهُ (8)، فَالْخَلْفُ: الْمُتَأَخَّرُ، سِوَاهُ كَانَ تَأَخَّرَهُ فِي الزَّمَنِ، أَمْ فِي الرُّتْبَةِ (9)، وَالْخَلْفُ مِنْ قَوْلِهِمْ: وَعَدَنِي، فَأَخْلَفَنِي إِخْلَافًا، وَالْخَلْفُ الْإِسْمُ، وَالْإِخْلَافُ الْمَصْدَرُ (10)، وَضَدُّ الْخَلْفِ: السَّلْفُ، وَهُوَ: كُلُّ مَنْ سَبَقَكَ، وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَذَا، وَالنَّاسُ خَلْفَةٌ، أي: مُخْتَلِفُونَ، فَمِنْ هَذَا الْبَابِ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُنَحِّي قَوْلَ صَاحِبِهِ، وَيُقِيمُ نَفْسَهُ مَقَامَ الَّذِي نَحَاهُ (11)، وَالْمُرَادُ بِالْإِخْلَافِ فِي الْآيَةِ: أَنْ يَعِدَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ الْعِدَّةَ، فَلَا يُنْجِزُهَا، وَالنَّهْيُ تَحْذِيرٌ مِنْ إِخْلَافِهِ. (5) ﴿سَوَى﴾: (سوي) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى اسْتِقَامَةٍ وَاعْتِدَالٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، يُقَالُ: هَذَا لَا يُسَاوِي

(1) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (أتي)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 2/ 43.

(2) الجوهري، الصحاح: (أتي).

(3) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (أتي).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 244.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وعد).

(6) الأزهرى، تهذيب اللغة: (وعد).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 245.

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلف).

(9) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (خلف).

(10) الخليل، العين: (خلف).

(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلف).

كذا، أَي: لا يُعَادِلُهُ، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ عَلَى سَوِيَّةٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، أَي: سَوَاءٍ⁽¹⁾، وَالتَّسْوِيَةُ: ضِدُّ الْمَفَاضَلَةِ، وَتَأْتِي بِمَعْنَى الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، فَيُقَالُ: سَوَّيْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ؛ إِذَا عَدَلْتُ بَيْنَهُمَا⁽²⁾، وَهِيَ أَيْضًا: تَقْوِيمُ الشَّيْءِ وَتَعْدِيلُهُ، تَقُولُ: سَوَّيْتُ الشَّيْءَ، فَاسْتَوَى، أَي: قَوَّمْتُهُ، فَاسْتَقَامَ⁽³⁾، وَالسَّوْيُ يُقَالُ فِيمَا يُصَانُ عَنِ الْإِفْرَاطِ، وَالتَّفْرِيطِ مِنْ حَيْثُ الْقَدْرُ، وَالكَيْفِيَّةُ، وَرَجُلٌ سَوِيٌّ: اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُ وَخِلَقَتُهُ عَنِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَالْمُرَادُ بِ﴿سَوَى﴾ فِي الْآيَةِ: اسْمٌ وَصَفٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الْإِسْتِوَاءِ: فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْإِسْتِوَاءُ اسْتِوَاءَ التَّوَسُّطِ بَيْنَ جِهَتَيْنِ مَكَانًا مُسْتَوِيًّا، أَي: لَيْسَ فِيهِ مُرْتَفَعَاتٌ تَحْجُبُ الْعَيْنَ، أَرَادَ مَكَانًا مُنْكَشِفًا لِلنَّاظِرِينَ لِيَشْهَدُوا أَعْمَالَ مُوسَى وَأَعْمَالَ السَّحَرَةِ⁽⁴⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى مَا قَالَهُ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى ﷺ عَلَى سَبِيلِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ، فَيَقُولُ: قَالَ فِرْعَوْنُ: هَلْ جِئْتَنَا - يَا مُوسَى - لِتُخْرِجَنَا مِنْ دِيَارِنَا بِسِحْرِكَ هَذَا؟ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِ سِحْرِكَ، فَحَدِّدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَقْتًا مَعِيْنًا وَمَكَانًا مُحَدَّدًا نَجْتَمِعُ فِيهِ، فَتَنْظُرُ أَيْنَا يَغْلِبُ الْآخَرُ، لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، فِي مَكَانٍ وَسَطٍ بَيْنَنَا.

❁ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

موقع جملة: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا﴾ مِمَّا قَبْلَهُ:

جملة ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا﴾ اسْتِثْنَاءُ بَيَانِي كَيْفِيَّةِ تَكْذِيبِ فِرْعَوْنَ وَإِبَائِهِ⁽⁵⁾ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾، فَبَيْنَهُمَا شَبْهُ كَمَالِ اتِّصَالٍ، وَلِذَلِكَ قُصِلَتْ، فَجَمَلَةُ الْاسْتِثْنَاءِ الْبَيَانِي لَا تُوَصَّلُ بِالْعَاطِفِ، لَكُونَهَا

طَلَبَ فِرْعَوْنَ مِنْ
مُوسَى الْوَعْدَ
لِإِيْهَامِ النَّاسِ
بِمَدَى الثَّقَةِ بِهِ
وَبِكَمَالِ اقْتِدَارِهِ

تَعْدِيدُ الْقَوْلَاتِ
مُوجِبٌ لِلْفَصْلِ؛
لِأَنَّهُ مِنْ تَقَاسِيمِ
الْحَوَارِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (سوا).

(3) الجوهري، الصحاح: (عدل).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 246 / 16.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 23 / 6.

جوابًا عن سؤالٍ مقدَّر: فكيف كان تكذيبه وإباطه؟ أو ماذا قال بعد أن كَذَبَ الآياتِ، وأبى قبولها؟ فأجيب: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾، وهذه الجملة من تمام مقولاتِ فرعونَ في محاورته موسى ﷺ، وتعددُ المقولاتِ موجبٌ للفصل؛ لأنه من تقاسيمِ الحوار، وكلُّ قسَمٍ هو شروعٌ جديدٌ في معناه ومغزاه، فاستحقَّ الاستئنافَ على الفصلِ والمقصودُ بالمقولاتِ: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ [طه: 49]، ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: 51]، ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا﴾، ويُلاحظُ أنَّ كلَّ مقولةٍ منها مشتملةٌ على إنشاءٍ سؤالٍ، والمسألةُ من دواعي الفصلِ.

دلالة الفعل الماضي ﴿قَالَ﴾:

سياقُ فعلِ القولِ بصيغة الماضي فيه إشارةٌ إلى سبقِ إصراره وتحقيقِ قصده؛ لأنَّ القولَ إبرازًا باللفظ لما حصل في النفس من مُعتَقِدٍ وقصد⁽¹⁾، فالفعل ﴿قَالَ﴾ يدلُّ على أنَّ مَقَالَةَ فرعونَ كانت عن تدبيرٍ وتقديرٍ، وهذا من طبائعِ الملوكِ وذوي السُّلطةِ ألا يتكلَّموا إلَّا عن حيلةٍ وحكمةٍ وسياسةٍ.

سرُّ إضمارِ الفاعلِ العائدِ على فرعونَ:

إضمارُ الفاعلِ العائدِ على فرعونَ، في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا﴾؛ لتعنيهِ والعِرفانِ به، وعدمِ التباسِه وخفائه، فكان الفاعلُ بالإضمارِ أحقَّ إيجازًا واختصارًا وإسراعًا إلى الغرضِ والمضمونِ بتقصيرِ الكلامِ وطَيِّ ما في إضماره غنيَّةٌ عن إظهاره.

دلالةُ إسنَادِ المجيءِ إلى ضميرِ الخطابِ المتَّصلِ:

قوله: (جئت) تعريضٌ بأنَّ المجيءَ منه، لا بتكليفٍ من الله الَّذي أرسله للبلاغِ والهدايةِ.

نكتةُ اتِّصالِ الفعلِ بضميرِ الجمعِ:

اتِّصالُ الفعلِ بضميرِ الجمعِ من كلامِ فرعونَ في قوله: ﴿أَجِئْتَنَا﴾

من طبائعِ
الملوكِ وذوي
السُّلطةِ ألا
يتكلَّموا إلَّا عن
حيلةٍ وحكمةٍ
وسياسةٍ

الإيجازُ لغرضِ
الإسراعِ إلى إبرازِ
الغرضِ

أهلُ البهتانِ هم
أعداءُ البرهانِ

(1) الراغب، المفردات: (قول).

استصحاب
الحال أحد
القرائن المؤثرة في
البيان

للدلالة على التّعظيم، فيقصد نفسه، أي: جئت تريد الانقلاب على النظام، وهو - أي: فرعون - النظام والكيان؛ لأنه رأس الحكم والأمر، فقوام النظام به، ونزل نفسه منزلة الدولة بكاملها، فعبر بالضمير الجمعي إعظاماً منه لذاته، والقرينة - في أن الضمير للتعظيم لا المشاركة الجمعية - استصحاب الحال، وهو أن موسى لم يصدر عنه ما يُشتم منه إخراجهم من أرضهم، ويجوز أن يكون ضمير المتكلم المشارك مستعملاً في الجماعة تغليياً، ونزل فرعون نفسه واحداً منها، وأراد بالجماعة جماعة بني إسرائيل حيث قال له موسى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [طه: 47]، أي: جئت لتخرج بعض الأمة من أرضنا، وتطمع أن تتبعك جميع الأمة بما تظهر لهم من سحرك⁽¹⁾.

دلالة الهمزة في: ﴿أَجِئْتَنَا﴾:

همزة الاستفهام في: ﴿أَجِئْتَنَا﴾ لإنكار الواقع واستقبحه وادّعاء أنه أمر محال، فهو استفهام مجازي، خرج عن حقيقته في طلب الفهم والعلم إلى الإنكار والاستهجان، على طريقة المجاز المرسل لعلاقة الإطلاق والتقيد⁽²⁾.

بلاغة إدماج التعريض في البهتان:

قوله: ﴿أَجِئْتَنَا لِشُخْرَجَنَا﴾ مشتمل على الكناية بالتعريض بموسى ﷺ في نسبته إلى الدوافع الخبيثة والطوايا المغرضة، فهو ما رجع إليهم إلا لاستفزازهم من أرضهم، وبناءً هذا التعريض فُرّع عن البهتان بمحاولة المحال⁽³⁾؛ لأن إخراج الناس من ديارهم ليس بمقدور فرد، وليس في دعوة موسى ﷺ ما يُشتم منه رائحة ذلك⁽⁴⁾، فكان ذلك من فرعون بهتاناً بموسى، بنى تعريضه به عليه، فأدمج

الاستفهام
بقصد الإنكار
وادّعاء المحال

الأفكار قوّة
مركزيّة في البناء
أو الهدم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 244 / 16.

(2) الألوسي، روح المعاني: 528 / 8.

(3) الألوسي، روح المعاني: 528 / 8.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 244 / 16.

في تركيب: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ كنايةً عن التعريض والتَّهمة على قصد فرعون، وكنايةً عن البراءة من البهتان بقرينة مقال موسى ﷺ ومقامه.

سر استعمال الفعل المضارع:

التعبير عن الإخراج بالفعل المضارع في قوله: ﴿لِتُخْرِجَنَا﴾ لكونه عبارةً عن تدبيرٍ لم يتم بعد، فما زال بصدد المزاولة والمحاولة، وللدلالة على تجدد وضع الخطر المحدق بملكه، وتصوير مدى خوفه ورعبه.

دلالة اعتراف فرعون بالملكيّة الجماعيّة للأرض مع قومه:

على اعتبار أنّ الضمير في: ﴿أَجِئْتَنَا﴾، ﴿لِتُخْرِجَنَا﴾، ﴿أَرْضِنَا﴾ للمشاركة الجمعيّة لا للتعظيم الفردي، فيكون ذلك اعترافاً من فرعون بالملكيّة الجماعيّة للأرض مع قومه، على خلاف طريقته في الاستبداد الأحادي في قوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف: 51]، وهذا الاعتراف ليس على حقيقته في قصد فرعون، بل هو اعتراف اضطراريّ يلجأ إليه كلُّ طاغية عند تحديد الخطر به، بأن يقدِّف بالمخاوف على قومه، ليستحثّهم على المواجهة ساعة الخطر، ولكنه ينسأهم، ويستأثر عليهم حال أمنه، وهذا من تمام الوضاعة ووقاحة الطبع وتناقض المنطق وافتضاح الوجوه، الذي يُزاوِلُه كلُّ طاغٍ ممقوت.

سر جعل علّة المجيء الإخراج من الأرض:

جعل فرعون الإخراج من الأرض موضوع بهتانه لموسى، وعبر عنه بطريق الجمع: ﴿لِتُخْرِجَنَا﴾؛ ليحمل قومه على غاية المقت لموسى ﷺ بإبراز أنّ مراده ليس مجرد إنجاء بني إسرائيل من أيديهم، إنّما إخراج القبط من وطنهم وحيازة أموالهم وأملاكهم بالكلية حتى لا

انتقاء الحبل
أماره تفوق
المحتال في السر

المستبد الأناني
يهزع لجماعته؛
إذا حدّق به
الخطر

الإخراج من
الوطن كرهاً أخو
القتل

يتوجّه إلى أتباعه أحدٌ، ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة؛ إذ الإخراج من الوطن أخو القتل⁽¹⁾.

معنى الباء في: ﴿بِسْحَرِكَ﴾:

ليس بالسحر
تنتزع الممالك

الباء في قوله: ﴿بِسْحَرِكَ﴾ سببيةٌ، فجعل الإخراج بسبب السحر، أو هي باء الاستعانة الدالة على الآلة، أي: أدأتك في إخراجنا سحرٌ تستعين به، ونكتة التعبير بهذه الباء: التعلُّل والتحير بما لا أصل له؛ إيماءً إلى أنه علم كونه مُحَقَّقًا حتّى خاف منه على ملكه، فإنَّ السَّاحِرَ لا يقدر أن يُخْرِجَ مَلِكًا مِثْلَ فرعون من أرضه⁽²⁾، وليس بالسحر تُنتزع الممالك.

سرُّ إضافة السحر إلى ضمير موسى:

جلبت النفوس
على كراهية
السَّاحِر

إضافة السحر إلى ضمير موسى ﷺ في قوله: ﴿بِسْحَرِكَ﴾ للتقليل والتهوين، وهو قصْدٌ تحقير شأن هذا الذي سمَّاه سحرًا، فيما زعمه على ما أتى به موسى من الآيات، واستفادة التحقير ظاهرٌ بقرينة ما بعده من تنكير السحر في جملة التَّحْدِي بالنَّظِير: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾، أي: سحرٍ عظيمٍ كاملٍ يَتَفَوَّقُ في المقدار، مِثْلَ سحرِكَ في الجنس والحقيقة.

دلالة جملة الاعتراض ﴿يَمُوسَى﴾:

انهيارُ نفسيّة
الطاغية إذا هُذد
في نفوذه ومُلكه

مجيء جملة النَّداء ﴿يَمُوسَى﴾ مختومًا بها التَّحْدِي بالسحر في خطاب فرعون، تحتلُّ ثلاثة أمور: **الأوّل:** التَّهْوِينُ والتَّنبِيهُ على أنه مُسْتَقِلٌّ له لإحاطته بأمره، أي: يا موسى أنت الذي نعرفه، ورَّيَّناهُ على أعيننا، فَيَدُنَا عَلَيْكَ، وأمرُك إلينا. **الثاني:** التَّحَسُّرُ والامتناعُ، أي: يا موسى، يا مَنْ رَّيَّناهُ، فاستقوى علينا، فيا بُدَّكَ عَنَّا ويا حسرتنا منك!

(1) الألويسي، روح المعاني: 528 / 8.

(2) البضاوي، أنوار التنزيل: 30 / 4.

الثالث: إلفاته إلى سابق منته عليه بما يزجره، ويُخجله عن استمراره فيما هو بصدد.

دلالة النداء في سياق الخطاب: ﴿يَمُوسَى﴾:

النداء في قوله: ﴿يَمُوسَى﴾ مجاز مرسل، علاقته الإطلاق والتقييد، فليس على حقيقته في طلب الإقبال واستدعاء المنادي، بل المراد منه التعريض باقتداره عليه وتمكّنه منه انتصاراً لنفسه أمام الملأ الحاضرين، فهو كالمطلوب القريب في النداء والاستدعاء، ويصح حمل تركيب النداء على الاستعارة التمثيلية بتشبيه حال موسى في استنباه فرعون له، فهو مطلوب لغرض فرعون فيه بالامتنان والتعريض والتهديد بحال المنادي المطلوب إقباله على غرض مناديه.

دلالة العطف بالفاء في: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾:

الفاء في قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ عاطفة مدخولها على جملة: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا﴾، ومعناها السببية لترتيب ما بعدها على ما قبلها، أي: بسبب قصدك من مجيئك أن تخرجنا بسحرك، فأقسم لنأتينك بسحر مثله، وقد أفاد العطف بالفاء سرعة التعقيب بالرد على موسى بمناظرة السحر في قسم فرعون، ويصح كون الفاء فصيحة واقعة في جواب شرط مقدر، أي: إذا كان ذلك كذلك - والإله الأعظم - لنأتينك⁽¹⁾.

معنى اللام:

اللام في قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ لتأكيد جواب القسم وتحقيقه، واللام تدل على القسم المضمر، والتقدير: (فعزتي وجاهي لنأتينك)، ولا يقدر (والله)؛ لأنه من كلام فرعون، وهو لا يؤمن بالله.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 301/12، والآلوسي، روح المعاني: 528/8، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/4742، وصافي، الجدول: 382/16.

الاستعارة
التمثيلية في
تركيب النداء

الفاء حرف يدل
على كمال الربط
والإتصال

القسم على
الوعيد تحقيق
إمكانه،
وتقريب لشهوده
واستحضاره

بلغة التوكيد في: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾:

إيراد المؤكّدات
لاستيعاب
متعلقاتها
الزمنية

جملة ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ جواب القسم⁽¹⁾، وعند وقوع جواب القسم فعلاً مضارعاً، فيؤكّد باللام، فإذا كان الفعل المضارع مثبّتاً مستقبلاً غير مفصولٍ عن لامه بفاصلٍ؛ وجب توكيده بالنون، واللام وحدها تخلص المضارع للحال، وقد تحتل - مع الحال - الاستقبال؛ إذا دل دليل على ذلك، فإذا دخلت النون معها؛ خلصت المضارع للاستقبال، فكأنه قيل: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ فيما بعد وقت الخطاب⁽²⁾.

دلالة تصديره كلامه بالقسم:

حيلة القلق
الخبران

تصديرُ فرعونَ كلامه بالقسم في قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾؛ ليظهر بمظهرِ الواثق، وكأنه جمع أطراف النصر بين يديه⁽³⁾، ولا يخفى ما فيه من قصدٍ مبالغته في إخفاء قلبه وترهيب موسى وصدّه، وقرينة أنه كان يوارى بقسمه قلماً يكتمه؛ أنه رتب التحدي بالمنظرة على بُهتانٍ اخترعه، لم يتلبس به موسى طرفة عين، وهذه حيلة القلق الحيران: أن يخرع خلاف الحقيقة ليشغل الناس عن الاقتناع بها، والنظر فيها، ويُلهمهم بما يحجبهم عن اكتشاف اضطرابه وزعزعة موقفه؛ لئلا يسقط من أعينهم، فينهار نفوذُه.

دلالة نون الجمع في قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾:

جنون العظمة
بالعلو
والطغيان

ضميرُ جمع المتكلم في جملة جواب القسم: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾، إمّا يعودُ على فرعون وحده، وساقها فرعون بصيغة الجمع لتعظيم شأنه، وهي حالة من جنون العظمة التي تعترى الفجار من ذوي السلطة؛ إذا جوبهوا بما يقطعهم عن مزاوله الانفلات والطغيان، ويصح أن يكون الجمع لإشراك قومه معه، ليكونوا في

(1) صافي، الجدول: 382/16.

(2) فاضل السامرائي، معاني النحو: 176/4.

(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 119/9.

صفه في مواجهة موسى ﷺ ابتداراً منه وخشية أن يستقطبهم موسى إلى صفه.

معنى الباء في: ﴿بِسْحَرٍ﴾:

الباء في قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسْحَرٍ﴾ للتعدية، ويكون قوله: ﴿بِسْحَرٍ﴾ متعلقاً بالإتيان، وهو الظاهر، أو للملابسة، ويكون ﴿بِسْحَرٍ﴾ متعلقاً بمحذوفٍ على أنه حالٌ من فاعلِ الإتيان، أي: ملتبسٍ بِسِحْرٍ⁽¹⁾.

دلالة إسناد الإتيان إلى السحر:

إسناد الإتيان إلى السحر في قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسْحَرٍ مِّثْلَهُ﴾ مجازٌ عقليٌّ؛ لأنَّ السَّحَرَ باعتباره قوًى متخيَّلة لا يأتي فرعونُ به، بل الذي يأتي به هو السَّاحِرُ الذي يظهرُ السَّحْرَ على يديه، وفي الإسناد إلى السَّحَرِ مبالغةٌ في عظمه وتأثيره، بتصويره كأنه يأتي، فيظهرُ بنفسه، أو بتمثيله ذاتاً تأتي لقوَّة نفاذه.

دلالة التقييد بالصفة ﴿مِثْلَهُ﴾:

التقييد بالصفة ﴿مِثْلَهُ﴾ فيه تأكيدٌ من فرعونَ على عدم اعترافه بمعجزة موسى ﷺ فما أتى به سحرٌ يواجهه بسحرٍ من نفس جنسه⁽²⁾ وأصله، لكن يفوقه قوَّةً وهولاً عند التنافس والمناظرة، كما يدل التقييد بالمثلثة على اعتداد فرعونَ بمستوى السَّحَرِ الذي سيواجه به معجزة موسى بصورة علنيَّة حاسمة.

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَأَجْعَلْ﴾:

الفاء في قوله: ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ عاطفةٌ أو استئنافية⁽³⁾، والمعنى على الاستئناف مراعاة تمام الكلام بالقسم وجوابه، وأنَّ جملة ﴿فَأَجْعَلْ﴾ انتقالٌ لاقتراح موعد المناظرة، أو فصيحة واقعة في

تعلُّق الجارّ
والمجرور بالإتيان

تمثيل السَّحَرِ
ذاتاً يؤتى بها

الاحترارُ من
الإذعانِ للحقِّ
بتأكيد المغالطةِ
والهوى

تفريع ترتيب
الوعدِ على
الإبعادِ بالتحدي
للقسمِ عليه

(1) السمين، الدر المنثور: 54 / 8.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 244 / 16.

(3) الخطيب، التفصيل في الإعراب: 279 / 8.

جواب شرطٍ مقدّرٍ، أي: (إِنْ قَبِلْتَ اللَّقَاءَ، فاجعل)، ومعنى الفاءِ على احتمالاتها السابقة لا ينفكُّ عن معنى التّفريع⁽¹⁾، أي: تفرّيعُ ترتيبِ الموعد على الإيعادِ بالتحديّ المُقسَمِ عليه.

دلالة موقع الظرف في قوله: ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ﴾:

تأكيدُ الفاصلةِ
والمفارقةِ بينهم
وبينه

موقعُ الظرفِ بتقديمه في السياق يفيدُ الاهتمامَ والحرصَ، ولذا لم يقل: (فاجعل موعداً بيننا وبينك)، ولم يكتفِ في السياق بالبيئية الجامعة، فلم يقل: (فاجعل بيننا موعداً) على إرادة جميع الأطراف، بل فصل، وفصل، فأسندَ الظرفَ مرّتين إلى ضميرهم وضمير موسى ﷺ ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ﴾ لتأكيدِ الفاصلةِ والمفارقةِ بينهم وبينه، وهو إيحاءٌ إلى تحقُّقِ الخصومةِ وثبوتها في جانبين، ولإرادة التحديد والتعيين لخطورة الحدث، فإنَّ الوقائعَ المفصليةَ تقتضي تخصيصاً دقيقاً لأطراف النزاع، وتناسباً مع معنى المفاعلة في المواعدة المستفادة من قوله: ﴿مَوْعِدًا﴾ بالتنبيه على المتشاركين فيها.

دلالة صيغة (مَفْعِل) واتّساع معناها:

الانتساعُ الدَّلاليُّ
في الأبنية

قوله: ﴿مَوْعِدًا﴾ جاء بصيغة موجزة في لفظها، واسعة في مدلولها، فيجوزُ أن يرادَ به زمانُ الوعدِ، ويرجّحه قوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ﴾، ويجوزُ أن يرادَ به مكانُ الوعدِ، والمعنى: (بَيْنَ لَنَا مَكَانًا معلومًا، نعرفُه نحن وأنت فتأتيه)، وهذا يؤيِّده قوله: ﴿مَكَانًا سَوًى﴾، ويجوزُ أن يكونَ مصدرًا ميميًا، ويؤيِّد هذا قوله: ﴿لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾؛ لأنَّ المواعدة توصفُ بالخلفِ وعدمه⁽²⁾.

توجيه القراءة القرآنية في قوله: ﴿لَا نُخْلِفُهُ﴾:

النّهْيُ هو طلبُ
نفي الفعلِ،
فالنّهْيُ والنفي
أخوان

قوله: ﴿لَا نُخْلِفُهُ﴾ في قراءة الجمهور برفع الفعلِ صفةً لـ ﴿مَوْعِدًا﴾ باعتبار معناه المصدرِ، وقرأه أبو جعفرٍ بجزمِ الفاء من ﴿نُخْلِفُهُ﴾، والنّهْيُ تحذيرٌ من إخلافه⁽³⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 245 / 16.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 425 / 14، والسمين، الدر للصون: 54 / 8.

(3) ابن الجزي، النشر في القراءات العشر: 320 / 2، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 245 / 16.

وهي على جواب الأمر، وهو قوله: ﴿فَأَجْعَلْ﴾.

دلالة النفي بـ﴿لَا﴾:

﴿لَا﴾ النافية في قوله: ﴿لَا تُخْلِفُهُ﴾ أفادت الاستقبال، فهي تنفي المضارع في الحال أو الاستقبال أو الاستمرار بحسب سياقها في الجملة، وإن كان النحاة يرون أنها تخلصه للاستقبال⁽¹⁾، والظاهر أنها قد تكون للحال، كقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الصافات: 92]، و﴿مَالِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ﴾ [النمل: 20]، وقد تكون للاستقبال كهذه الآية، وكقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: 174]، وقد تكون للاستمرار، وذلك نحو قوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255]، وقوله: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾ [النساء: 148]⁽²⁾.

الاتساع الزمني
في نفي المضارع
(لَا)

فائدة تكرار (لا) النافية:

كُرِّرَتْ (لا) في قوله: ﴿وَلَا أَنْتَ﴾، ولم يُكْتَفَ بها في أول ذكرها بأن يقال: (لا نخلفه نحن وأنت)، لتأكيد نفي عدم الخلف من الجانبين بالنص عليه مع كل طرف، للدلالة على أن عدم إخلافه لا يوجب عدم إخلاف موسى ﷺ فقد يقع انتفاء الخلف من طرف دون الآخر⁽³⁾، وفي تكرار أداة النفي - في جهة موسى في خطاب فرعون لموسى - إشارة إلى حرص فرعون على وفاء موسى بالوعد؛ إظهاراً منه لشدة عزمه وتحقيق إصراره على الإنجاز والإتمام، فليس هو مجرد اقتراح منه أو تظاهر أو تخلص، وفيه: أنه غير مُحَرَجٍ من موسى بما أراه من الآيات التي كذبها.

تكرار النفي
للتأكيد

دلالة الاحتراز بضمائر الفصل:

لم يُقَلَّ في السياق: (لا نخلفه مكاناً سوياً)، بل أتى بضميرَي

التفصيل في
الضمائر لتقرير
المفصلة في
المواقف

(1) الكتاب، سبويه: 117/3.

(2) فاضل السامرائي، معاني النحو: 206/4.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 24/6.

التوكيد له ولموسى في قوله: ﴿نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾، ونص على ضمير موسى، مع إمكان أن يقال: (لا نخلفه نحن مكاناً)؛ لأنَّ ﴿نَحْنُ﴾ يصلح للدلالة عليهما معاً وعلى سائر الملائ، لتأكيد المفاصلة بالخصومة، فناسب المفاصلة في الضمائر، كأنه قيل: (لا نخلفه نحن، ولا تخلفه أنت) (1)، وقصداً منه تفويض أمر الوعد إلى موسى ﷺ للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب، وضيق المجال، وإظهار الجلافة، وإراءة أنه متمكن من تهئية أسباب المعارضة (2)؛ ليظهر كمال اقتداره على الإتيان بمثل ما أتى به موسى (3)، ولنكتة بديعة: هي الإشارة إلى أن عدم إخلاف أحد الطرفين لا يستلزم ألا يقع الإخلاف من الآخر، ولذا نص على الضميرين.

دلالة تقديم ضمير التكلم على الخطاب:

تقديم فرعون ضميره على ضمير موسى - في قوله: ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ - للإيدان بمسارحته إلى عدم الإخلاف (4)، وأنه سابق بالحرص قبله، واستحضاراً منه لمقامه في العزة والملك، فلا أحد يتقدم عليه في نظره في القول والفعل.

دلالة التصريح بضمير الخطاب:

في استعمال فرعون للضمير ﴿أَنْتَ﴾ في خطاب موسى ﷺ في قوله: ﴿لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾ احتمال إشارته إلى التلطف مع موسى بالتصريح بضميره، كأنه بذلك يتعمد إظهار اعتداده بموسى واعتباره له، وهذا من كياسة الملوك وسياستهم، في الجمع بين الحزم واللين في بعض الأحيان.

الإيدان
بالمسارعة إلى
عدم الإخلاف

الجمع بين
الحزم واللين
أمانة كياسة
وسياسة

(1) ابن مالك، شرح التسهيل: 3/ 372، وأبو حيان، البحر الحيط: 6/ 253.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 24.

(3) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 438.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 24.

دلالة جملة الفاصلة: ﴿مَكَانًا سُوءًا﴾:

﴿مَكَانًا سُوءًا﴾ منصوبٌ بفعلٍ مقدرٍ يدلُّ عليه المصدرُ، أي: عُدَّ مَكَانًا، أو على أَنَّهُ مفعولٌ ثانٍ لـ ﴿فَأَجْعَلْ﴾، أي: فاجعل موعداً مكاناً، وذلك على أَنَّ ﴿مَوْعِدًا﴾ مصدرٌ⁽¹⁾، أو على أَنَّهُ بدلٌ اشتمالٍ من ﴿مَوْعِدًا﴾ بأحد معنفيه؛ لأنَّ الفعلَ يقتضي مكاناً وزماناً، فأبدل منه مكانه⁽²⁾، كأنَّهُ قيل على حذفٍ مضاف: (فاجعل مكانَ موعِدٍ مكاناً سُوءاً)⁽³⁾.

تتعدَّد وجوه
الإعراب تبعاً
لتنوُّع المعاني
المحمَّلة

إيثارُ ذكر المكانِ دونَ الزَّمانِ:

أثرُ ذِكْرِ المكانِ دونَ الزَّمانِ في قوله: ﴿مَكَانًا سُوءًا﴾ لأجل وصفه بقوله: ﴿سُوءًا﴾، أي: عدلاً بيننا في موقعه ومسافته وحياده في الحكم، فيكون كنايةً عن الإنصافِ والعدالةِ والسَّواءِ المعنوي بضمنانِ النِّصْفَةِ وعدم الانحياز، وهذه الأمورُ يوصفُ بها المكانُ دونَ الزمانِ، فضلاً عن أَنَّ كلاً من الزَّمانِ والمكانِ لا ينفكُ عن الآخرِ، فالزمانِيَّةُ لازمةٌ لا تنفصلُ⁽⁴⁾.

الزَّمانُ والمكانُ
متلازمانِ لا
ينفكانِ

دلالة الوصفِ بـ ﴿سُوءًا﴾:

وصفٌ ﴿سُوءًا﴾ وهو اسمٌ وصفٍ مشتقٌّ من الاستواءِ بمعنى الوسط، وزنه (فُعْل) بضمِّ الفاء أو كسرهما يُجمع بين الدلالةِ الحسيَّةِ والمعنويَّةِ للاستواءِ، فعلى المعنى المحسوس: هو وصفٌ للمسافة، أي: مكاناً تستوي مسافتهُ بين الفريقين، أو هو وصفٌ لجغرافيَّةِ المكانِ أي: مكاناً مستويًا لا يكون فيه ارتفاعٌ ولا انخفاضٌ حتى يشاهد كلُّ الحاضرين ما يجري متساويين في ذلك، وعلى الدَّلالةِ المعنويَّةِ: مكاناً يستوي حالُ جميع الأطرافِ في الرِّضا والقبولِ به، أو مكاناً

الجمعُ بين
الدَّلالةِ الحسيَّةِ
والمعنويَّةِ

(1) الخطيب، التفصيل في الإعراب: 281 / 8.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 245 / 16.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 31 / 4.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 302 / 12.

يتحقّق به العدلُ والانتصاف، فتستوي حالنا فيه، وتكون المنازلُ فيه واحدةً، لا تُعدُّ فيه رئاسةٌ ولا سياسة، بل يتّحد هناك الرئيسُ والمرؤوسُ والسائسُ والمسوسُ⁽¹⁾.

بلدغة الكناية في تركيب ﴿مَكَانًا سُوءٍ﴾:

قوله: ﴿مَكَانًا سُوءٍ﴾ كنايةٌ عن إرادة الوضوح، وإظهار الجَلادةِ وقوّة الوثوقِ بالغلبة؛ لأنّه عبارةٌ عن الانكشاف التامّ في إجراءاتِ المناظرة وفعاليتها، فيلزم عنه ذلك⁽²⁾.

الانكشاف التامّ
لقضايا الرأي
العام

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 63 / 22، والآلوسي، روح المعاني: 529 / 8.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 529 / 8.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-74-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»